تنبيه الأحباء على أهمية الوقف والابتداء

جمعه ورتبه

أبو عبد العزيز

طاهر خالد

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنا،ماكثين فيه أبدا، الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه، وأفاض لدينا مننه ، وأنزل إلينا كتابه الذي فصل آياته فأحكمه وأتقنه، والذي اصطفى من عباده حملة كتابه ،وجعلهم أهله وخاصته ، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه الذين نالوا مودته.

أما بعد،

فلما كان الكتاب العزيز تبصرة لأولي الألباب ،وأودعه الله من فنون العلوم والحكم العجب العجاب ،وجعله أجل الكتب قدرا وأغزرها علما وأعذبها نظما وأبلغها في الخطاب،قرآنا عربيا غير ذي عوج لا شبهة فيه ولا ارتياب كان لزاما على حامله وقارئه أن يعلم الوقف والابتداء فبه تتبين معاني الآيات ،ويؤمن من الوقوع في المشكلات و هو كتاب منتظم الآيات ، متعاضد الكلمات ، لا نفور فيه ولا تعارض ، ولا تضاد فيه ولا تناقض ، صدق كلها أخباره [1]، عدل كلها أحكامه ، ومن ثم كان باب الوقف والابتداء بابا مهما جداً يجب على قارئ القرآن الكريم أن يهتم به ، إذ هو دليل على فقهه وبصيرته والهدف من وراء ذلك كله هو عدم الإخلال بنظم القرآن ، ولا بما اشتمل عليه من معان.

ومن هذا المنطلق أردت أن أتحدث معكم عن شذ رات من هذا العلم لنعلم أثره وضرورة الوقوف عليه ،وقد أسميت درسنا هذا **(تنبيه الأحباء على أهمية الوقف والابتداء)**

ويدور الحوار حول النقاط التالية :

أولا :دليل الوقف والابتداء

ثانيا:فوائده

ثالثا:معنى الوقف

رابعا: العلماء الذين أفردوه بالتصنيف

خامسا: مقداره

سادسا: أنواعه

سابعا: مراتبه

ثامنا: تطبيقات

تاسعا:العلوم التي يحتاجها الوقف

عاشرا: شروط من يقوم بتحديد الوقف

١-دليله

والأصل فيه ما أخرج النحاس قال: حدثنا محمد بن جعفر الأنباري حدثنا هلال بن العلاء بن أبي وعبد الله بن جعفر قالا: حدثنا عبد الله بن عمر الزرقي عن زيد بن أبي أنيسة عن القاسم بن عوف البكري قال: "سمعت عبد الله ابن عمر يقول: لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه".(١)

قال النحاس: فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن.

وقول ابن عمر: "لقد عشنا برهة من دهرنا " يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة ثابت أخرج هذا الأثر البيهقي في سننه.

وقد عارض ذلك الشيخ ملا القاري في شرحه على الجزرية بعد أن ذكره بقوله : (ولا يخفى أن قوله : ((وما ينبغي أن يوقف عنده منها)) لا يبعد أن يراد به الآيات المتشابهات في معناها ، فليس في الحديث نص على الوقف المصطلح عليه) . و كلا المعنيين محتمل من جهة اللفظ ، وقوى الاحتمال الأول كلام أولئك الأئمة في الاستدلال به على مراعاة الوقوف

وعن علي في قوله تعالى:﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (٤) المزمل: ٤قال: "الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف".

وقال ابن الأنباري :"من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه." ١-٢٨٢[1]

وعن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه –أنه قال لرجل معه ناقة :أتبيعها بكذا قال : :لا عافاك الله " فقال : لا تقل هكذا ولكن قل : "لا وعافاك الله" .فأنكر عليه لفظه ولم يسأله عن نيته)

٢-فوائد معرفة علم الوقف

قال الإمام الهذلي في كامله : "الوقف حلية التلاوة ، وزينة القارئ ، وبلاغُ التالي ، وفهمٌ المستمع ، وفخرُ العالم" .
وقال النكزاوي: "باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر لأنه لا يتأتى لأحد معرفةُ معاني القرآن ولا استنباطُ الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل".

وفي النشر لابن الجزري قال :" لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيارُ وقف للتنفس والاستراحة وتعين ارتضاءُ ابتداءٍ بعده وتحتم ألا يكون ذلك مما يحيل المعنى ولا يخل بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد ولذلك حض الأئمة [2]على تعلمه ومعرفته. وفي كلام (على) دليل على وجوب ذلك وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلمه

1- انظرالكتاب : الإتقان في علوم القرآن المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ)المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

إجماع من الصحابة وصح – بل تواتر – عندنا تعلمُه والاعتناءُ به من السلف الصالح كأبي جعفرٍ يزيدَ بنِ القعقاع أحدِ أعيان التابعين[1] وصاحب الإمام نافع وأبي عمرو ويعقوب وعاصم وغيرهم من الأئمة وكلامهم في ذلك معروف ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب ومن ثم اشترط كثير من الخلف على المجيز ألا يجيز أحدا إلا بعد معرفته الوقف والابتداء وصح عن الشعبي أنه قال: إذا قرأت كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) الرحمن: ٢٦ فلا تسكت حتى تقرأ: وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) الرحمن: ٢٧ أخرجه ابن أبي حاتم ا.هـ

ثم إن الوقف من الأمور المهمة التي يجب على القارئ معرفتُها ويتأكد عليه الاعتناءُ بها أتم اعتناءٍ لما يترتب على معرفته من الفوائد التي تؤدي إلى عدم الخطأ في لفظ القرآن وفهم معانيه.

إن معرفة الوقف تظهر مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة كما لو وقف على قوله(وربك يخلق ما يشاء ويختار) فالوقف على يختار هو مذهب أهل السنة لنفي اختيار الخلق لاختيار الحق فليس لأحد أن يختار بل الخيرة لله تعالى.

قال القرطبى ما ملخصه : قوله { مَا كَانَ لَهُمُ الخيرة } أى : ليس يرسل من اختاروه هم .

وقيل : يجوز أن تكون { مَا } فى موضع نصب ب (يختار) ، ويكون المعنى ، ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة .

والصحيح الأول أي كونها نافية لإطباقهم الوقف على قوله { وَيَخْتَارُ } ، و { مَا } نفى عام لجميع الأشياء ، أن يكون للعبد فيها شيء سوى اكتسابه بقدرة الله – عز وجل – .

وقد اختار ابن جرير أن { مَا } هاهنا بمعنى "الذي" ، تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة. وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح. والصحيح أنها نافية، كما نقله ابن أبي حاتم، عن ابن عباس وغيره أيضا، فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك؛ ولهذا قال: { سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } أي: من الأصنام والأنداد، التي لا تخلق ولا تختار شيئًا.

قال ابن كثير في قوله تعالى: { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ } يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب فقال: { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ } أي: ما يشاء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده، ومرجعها إليه.

وقوله: { مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ } نفي على أصح القولين، كقوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [الأحزاب : ٣٦].

وقد اختار ابن جرير أن { مَا } هاهنا بمعنى "الذي" ، تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة. وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح. والصحيح أنها نافية، كما نقله ابن أبي حاتم، عن ابن عباس وغيره أيضا،

الطبعة : ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ص ٢٨٢

فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك؛ ولهذا قال: { سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } أي: من الأصنام والأنداد، التي لا تخلق ولا تختار شيئًا.

قال البغوي في تفسيره:

نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا: "لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم"، يعني: الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي (١) ، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم. وقوله عز وجل: { مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ } قيل: "ما" للإثبات، معناه: ويختار الله ما كان لهم الخيرة، أي: يختار ما هو الأصلح والخير (٢) . وقيل: هو للنفي (٣) أي: ليس إليهم الاختيار، وليس لهم أن يختاروا على الله، كما قال تعالى: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة" (الأحزاب-٣٦) ، "والخيرة": اسم من الاختيار يقام مقام المصدر، وهي اسم للمختار أيضا كما يقال: محمد خيرة الله من خلقه. ثم نزه نفسه فقال: { سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }

وفي حديث الخطيب الذى خطب بين يدى النبى – صلى الله عليه وسلم – قائلاً: من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما. ثم وقف على "يعصهما" ثم قال فقد غوى. هنا قال له النبي –صلى الله عليه وسلم –: "بئس الخطيب أنت" (١)رواه مسلم .

ففي الخبر دليل واضح على كراهة القطع على المستبشع من اللفظ المتعلق بما يبين حقيقته ويدل على المراد منه، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم إنما أقام الخطيب لما قطع على ما يقبح لأنه جمع بقطعه بين حال من أطاع ومن عصى ولم يفصل بين ذلك أو يصل الكلام إلى آخره، فيقول: ومن يعصهما فقد غوى. فإذا كان مثل هذا مكروهاً مستبشعاً في الكلام الجاري بين المخلوقين فهو في كلام الله أشد كراهة وقبحاً وتجنبه أولى وأحق.

وروى أن عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – كان إذا دخل شهر رمضان قام أول ليلة منه خلف الإمام يريد أن يشهد افتتاح القرآن ، فإذا ختم أتاه أيضاً ليشهد ختمه فقرأ الإمام قوله تعالى: ((وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) ثم توقف عن القراءة وركع فعابه عمر وقال: قطعت قبل تمام القصة إذ كان ينبغي عليه أن يكمل الآية التي بعدها إذ فيها رد القرآن على دعواهم هذه وهو قوله سبحانه: ((ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون))

وفي حديث أبي بن كعب ، قال: أتينا رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فقال: "إن الملك كان معي فقال: اقرأ القرآن ، فعد حتى بلغ سبعة أحرف فقال: ليس منها إلا شاف كاف ما لم تختم آية عذاب برحمة ، أو تختم رحمة بعذاب"

وهذا تعليم للتمام فإنه ينبغي أن يوقف على الآية التي فيها ذكر العذاب والنار وتفصل عما بعدها نحو (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)سورة البقرة ٨١ ولا توصل بقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) سورة البقرة ٨٢وكذا قوله(وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار)سورة غافر ٦ ،لا توصل بقوله(الذين يحملون العرش) سورة غافر٧ وكذا(يدخل من يشاء فى رحمته) ولا يجوز أن يوصل بقوله (والظالمون) من قوله (والظالمون مالهم من ولي ولا نصير)سورة الشورى ٨ وقس على هذا نظائره

قال أبو عمرو الداني : هذا تعليم التمام من رسول الله –صلى الله عليه وسلم – عن جبريل عليه السلام ، إذ ظاهره دالّ على أنه ينبغي أن تقطع الآية التي فيها ذكر النار والعقاب وتفصل مما بعدها إذا كان بعدها ذكر الجنة والثواب ، والأمر كذلك أيضاً إذا كانت الآية فيها ذكر الجنة والنار بأن يفصل الموضع الأول عن الثانى.

حكى الزمخشري في كشافه القديم عن أبي حاتم السجستانى في قوله: ٠ مستهزئون الله يستهزئ بهم) سورة البقرة ١٤و١٥ قال ليس مستهزئون بوقف صالح لا أحب استئناف (الله يستهزئ) بهم، ولا استئناف (ومكر الله والله خير الماكرين) آل عمران ٥٤ حتى أصله بما قبله قال: وإنما لم يستحب ذلك لأنه إنما جاز إسناد الاستهزاء والمكر إلى الله تعالى على معنى الجزاء عليهما وذلك على سبيل المزاوجة فإذا استأنفت وقطعت الثاني من الأول أوهم أنك تسنده إلى الله مطلقا والحكم في صفاته سبحانه أن تصان عن الوهم

قال الصفا قسي مبيناً أهمية معرفة الوقف والابتداء:

"ومعرفة الوقف والابتداء متأكد غايةَ التأكيد ، إذ لا يتبين معنى كلام الله ، ويتم على أكمل وجه إلا بذلك ، فربما قارئ يقرأ ويقف قبل تمام المعنى ، فلا يفهم هو ما يقرأ ومن يسمعه كذلك ، ويفوت بسبب ذلك ما لأجله يقرأ كتاب الله تعالى ، ولا يظهر مع ذلك وجه الإعجاز ، بل ربما يُفهم من ذلك غير المعنى المراد ، وهذا فساد عظيم ، ولهذا اعتنى بعلمه وتعليمه ، والعمل به المتقدمون والمتأخرون ، وألفوا فيه من الدواوين المطولة والمتوسطة والمختصرة ، ما لا يعد كثرة ، ومن لا يلتفت لهذا ، ويقف أين شاء ، فقد خرق الإجماع ، وحاد عن إتقان القراءة وتمام التجويد. ا.هـــ

وهذا الكلام من عالم صرف حياته لخدمة القرآن كالصفاقسي له وجاهته ، وهو يؤكد ارتباط الوقف والابتداء بالتفسير.

وقال السخاوي في تأكيد ذلك أيضاً:

"فى معرفة الوقف والابتداء الذي دونه العلماء تبيين معاني القرآن العظيم ، وتعريفُ مقاصده ، وإظهارُ فوائده ، و به يتهيأ الغوص على درره وفرائده ٠٠ وقد اختار العلماء ، وأئمة القراء تبيينُ معاني كلام الله تعالى وجعلوا الوقف منبهاً على المعنى ، وبذلك تلذ التلاوة ، ويحصل الفهم والدراية ، ويتضح منهاج الهداية."

٣-الوقف معناه

الوقف: لغة الكف والحبس

اصطلاحا : هو قطع الصوت عند آخر الكلمة زمنا ما ليتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة.

والابتداء: هو الشروع فى الكلام بعد قطع أو وقف.

الوقف يطلق على معنيين :

أحدهما: القطع الذي يسكت القارئ عنده.

ثانيهما :المواضع التي نص عليها القراء فكل موضع منها يسمى وقفا وان لم يقف القارئ عنده

ومعنى هذا وقف أي موضع يوقف عنده وليس المراد إن كل موضع من ذلك يجب الوقف عنده بل المراد أنه يصلح عنده ذلك إن كان في نفس القارئ طول.

ولو كان في وسع أحدنا أن يقرأ القرآن كله في نفس واحد ساغ له ذلك، و القارئ كالمسافر و المقاطع التي ينتهي إليها القارئ كالمنازل التي ينزلها المسافر و هي مختلفة بالتام والحسن وغيرهما مما يأتي كاختلاف المنازل في الخصب ووجود الماء والكلأ وما يتظلل به من شجر ونحوه، والناس مختلفون في الوقف فمنهم من جعله على مقاطع الأنفاس ومنهم من جعله على رؤوس الآي .

الأعدل أنه قد يكون في أواسط الآي وان كان الأغلب في أواخرها وليس آخر كل آية وقفا بل المعاني معتبرة و الأنفاس تابعة لها والقارئ إذا بلغ الوقف وفي نفسه طول يبلغ الوقف الذي يليه فله مجاوزته إلى ما يليه فما بعده فإن علم أن نفسه لا يبلغ ذلك فلا يجاوزه كالمسافر إذا لقي منزلا خصبا ظليلا كثير الماء و الكلأ وعلم انه إن جاوزه لا يبلغ المنزل الثاني و احتاج إلى النزول في مفازة لا شيء فيها من ذلك فالأوفق له أن لا يجاوزه، فإن عرض له أي للقارئ عجز بعطاس أو قطع نفس أو نحوه عند موضع يكره الوقف عليه عاد من أول الكلام ليكون الكلام متصلا بعضه ببعض ولئلا يكون الابتداء بما بعده موهما للوقوع في محظور كقوله تعالى:(لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء)فإن ابتدأ بقوله (إن الله فقير ونحن أغنياء) فقد وقع في المحظور وكان مسيئا إن عرف معناه .

وقال ابن الانباري لا أثم عليه لأن نيته الحكاية عمن قاله وهو غير معتقد له ولا خلاف أنه لا يحكم بكفره من غير تعمد واعتقاد لظاهره.

ويسن للقارئ أن يتعلم الوقوف وأن يقف على أواخر الآي إلا ما كان شديد التعلق بما بعده كقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون)سورة الحجر١٤التي بعدها (لقالوا إنما سكرت أبصارنا)، وقوله:(لأغوينهم أجمعين) سورة الحجر ٣٩ التي بعدها إلا عبادك منهم المخلصين) الحجر ٤٠ لأن اللام في الأول و اللام في الثاني متعلقان بالآية قبلهما.

٤-أنواع الوقف

اضطراري - اختباري-انتظاري - تعريفي - اختياري -

بدايةً يجب التفرقة بين ثلاثة مصطلحات:

(١) القَطْعُ: هو السكوت في نهاية القراءة بقصد الانتهاء من القراءة والانتقال إلى حالةٍ أخرى، وهذا لا يكون إلا في نهاية آية،ولكن لابُدَّ من القطع على معنى صحيح غير منقوص.

مثال: لا يصح القطع على نهاية الآية: (فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّين.) ... (سورة الماعون: الآية ٤).

(٢) السَّكْتُ: هو قطع الصوت على حرفٍ ساكن بمقدار حركتين من غير تنفس،مع نِيَّةِ وصل القراءة في الحال،وذلك سواء كان سكونه مَيِّتاً (أي السكون الذي لا صوت له)كما في قوله تعالى: (...عِوَجَاً.قَيِمَاً...) ... (سورة الكهف: الآية ١،٢) أو كان سكونه حَيًّا (أى السكون الذي يكون له حرف مُحَقَّق) كما في قوله تعالى: (وَقِيْلَ مَنْ رَاق.) ... (سورة القيامة: الآية ٢٧).

(٣) الوَقْفُ: هو قطع الصوت على آخر الكلمة زمناً يسيراً؛ليتنفس فيه القارئ،مع نِيَّةِ استئناف القراءة.ويكون الوقوف إما على رؤوس الآيات،أو في أثنائها.والوقوف على رؤوس الآيات سُنَّةٌ.

أنواع الوقف :

(١)اضطراري: هو الذي تدفع إليه ضَرُورَةٌ مُلْجِئَةٌ؛كضيق نَفَس أو سُعَال أو عُطَاس.وهنا يجب أن يُبْدَأ بالكلمة التي وُقِفَ عليها إنِ استقام المعنى،وإلا بُدِئَ بالتي قبلها.

(٢) اختباري: هو الذي يُطْلَبُ من القارِئ عند الامتحان أو التَّعَلُّم؛لمعرفة كيفية الوقوف على نهاية الكلمات عند الاضطرار لذلك.

٣-انتظاري وهو الوقف على كلمات الخلاف لقصد استيفاء ما فيها من أوجه القراءات

٤-الاختباري وهو ما تركب من الاضطراري والاختباري كأن يقف لتعليم قارئ أو لأجابة ممتحن أو لإعلام غيره بكيفية الوقف

٥-اختياري: وهو الذي يقصده القارئ بمَحْضِ إرادته.وهذا النوع هو الذي تتعلق به الأحكام.

- عند الوقف ينبغي مراعاة الآتي:

(١) تحديدُ مكان الوقوف للتنفس. ... ... (٢) تحديد مكان ابتداء صحيح بعد التوقف.

(٣) ألاَّ يكون الوقف أو الابتداء مما يُخِلُّ بالمعنى أو الفَهْم.

أقسام الوقف الاختياري :

قال الإمام أبو عمرو الداني : (ينقسم الوقف عند أكثر القراء إلى أربعة أقسام

: "تام وكاف وحسن وقبيح "

قال ابن الجزري

(٧٣) وَبَعْدَ تَجْوِيدِكَ لِلْحُرُوفِ لاَبُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الْوُقُوفِ

(٧٤) وَالاْبِتِدَاءِ وَهْيَ تُقْسَمُ إِذَنْ ثَلاَثَةٌ تَامٌ وَكَافٍ وَحَسَنْ

(٧٥) وَهْيَ لِمَا تَمَّ فَإِنْ لَّمْ يُوجَدِ تَعَلُق أَوْ كَانَ مَعْنَى فَابْتَدى

(٧٦) فَالتَّامُ فَالْكَافِي وَ لَفْظاً فَامْتَعَنْ إِلاَّ رُؤُس الآى جَوِّزْ فَالحَسَنْ

(٧٧) وَغَيْرُ مَا تَمَّ قَبِيحٌ وَلَهُ الوقَفُ مُضْطُرًّا وَيُبْدَا قَبْلَهُ

(٧٨) وَلَيسَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ وَقْفٍ وَجَبْ وَلاَ حَرَامٌ غَيْرَ مَالَهُ سَبَبْ

١- الوقف اللازم::

هو ما لو وصل طرفاه غير المراد نحو قوله: {وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} يلزم الوقف هنا إذ لو وصل بقوله: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ} توهم أن الجملة صفة لقوله {بِمُؤْمِنِينَ} فانتفى الخداع عنهم وتقرر الإيمان خالصا عن الخداع كما تقول: ما هو بمؤمن مخادع. والقصد في الآية إثبات الخداع بعد نفي الإيمان.

وكما في قوله: {لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ} فإن جملة "تثير" صفة لـــ"ذلول" داخلة حيز النفي أي ليست ذلولا مثيرة للأرض.

ونحو: {سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ} فلو وصلها بقوله: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} لأوهم أنه صفة لولد وأن المنفي ولد موصوف بأن له ما في السموات والمراد الولد مطلقا

٢- الوقف التام :قلي

التام: هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ويرمز له في المصحف بالرمز قلي ويكون في حالاتٍ معينة مثل:

ا-رؤوس الآيات: وذلك نحو الوقوف على كلمة (المفلحون) في قوله تعالى :

(...وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون(٥).إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا...) ... (سورة البقرة: الآية ٥،٦).

(مالك يوم الدين)

ب- وقد يوجد في أثنائها كقوله: {وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} ، هنا التمام لأنه انقضى كلام بلقيس على تفسير ثم قال تعالى: {وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ } .على أنه من كلام الله

وكذلك: {لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي} هنا التمام لأنه انقضى كلام الظالم أبي بن خلف ثم قال تعالى: {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً} .

ج-وقد يوجد بعدها بكلمة كقوله: {مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ} هنا التمام لأنه معطوف على المعنى أي بالصبح وبالليل.

ومثله: {يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفاً} رأس الآية " يتكئون " و " زخرفا " هو التمام لأنه معطوف على ما قبله.

د -آخر كل قصة وما قبل أولها

هـــ - آخر كل سورة

و- الفصل بين آيتي عذاب بآية رحمة: وذلك نحو الوقوف على كلمة (للكافرين) في قوله تعالى:

(...فاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ أُعِدَّت لِلكَافِرِين.(تام)وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا..) ... (سورة البقرة: الآية ٢٤،٢٥).

ز-وقبل ياء النداء مثل ياأيها الذين ءامنوا

ح– فعل الأمر واصبر

ط–القسم ولامه دون القول والشرط ما لم يتقدم جوابه: "وكان الله "، " وما كان " و " ذلك " و " لولا " غالبهن تام ما لم يتقدمهن قسم أو قول أو ما في معناه. ويسميه بعضهم المطلق: ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدأ به نحو: {اللَّهَ يَجْتَبِي} .

ي– الفعل المستأنف نحو: {يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً} و: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ} و: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً} .

ومفعول المحذوف نحو: {وَعَدَ اللَّهُ} {سُنَّةَ اللَّهِ} .

ك– الشرط نحو: {مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ} .

ل– الاستفهام ولو مقدرا نحو: {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا} {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا} .

م– النفي: {مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} {إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً} حيث لم يكن كل ذلك مقولا لقول سابق حكمه

وحُكْمُ الوقف التام: أنَّه يَحْسُن الوقف عليه والابتداء بما بعده.

ملحقاته

– ويلحق بالوقف التام (وقف البيان التام): وهو الوقوف على كلمة تُبَيِّنُ المعنى،ولا يُفْهَمُ هذا المعنى بدون هذا الوقف.ومثال ذلك: الوقوف على كلمة (يحزنون) في قوله تعالى:

(...وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنُون.الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا..) ... (سورة البقرة: الآية ٢٧٤،٢٧٥).

ملحوظة

وقد يكون الوقف تاما في تفسير وإعراب وفي قراءة غير تام على آخر نحو: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} تام إن كان ما بعده مستأنفا غير تام إن كان معطوفا.

ونحو فواتح السور الوقف عليها تام إن أعربت مبتدأ والخبر محذوف أو عكسه أي ألم هذه أو هذه ألم أو مفعولا به قل مقدرا غير تام إن كان ما بعدها هو الخبر.

ونحو: {مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً} تام على قراءة: {وَاتَّخِذُوا} بكسر الخاء كاف على قراءة الفتح ونحو: {إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} تام على قراءة من رفع الاسم الكريم بعدها حسن على قراءة من خفض.

وقد يتفاضل التام نحو: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} كلاهما تام إلا أن الأول أتم من الثاني لاشتراك الثاني فيما بعده في معنى الخطاب بخلاف الأول.

وهذا هو الذي سماه بعضهم شبيها بالتام

٣– الوقف الكافي :

ويرمز له (ج) ثم (صلى)

هو الوقف على كلام يؤدي معنىً صحيحاً،يتعلق بما بعده معنى لا لفظاً.مثال ذلك الوقوف على كلمة (غُلْفٌ) في قوله تعالى:

(وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُم اللهُ بِكُفْرِهِم فَقَلِيلاً مَا يُؤمِنُون.) ... ... (سورة البقرة: الآية ٨٨).

–وقد يكون مكان الوقف الكافي على رؤوس الآيات: مثل الوقوف على كلمة (يَعْمَهُون) في قوله تعالى:

(اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم ويَمُدُّهُم في طُغْيَانِهِم يَعْمَهُون.أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرُوا الضَّلالَةَ بِالهُدَى...) سورة البقرة: الآية ١٥،١٤

وقد يكون مكان الوقف الكافي في وسط الآية: مثل الوقوف على كلمة (خَلْقَهُم) في قوله تعالى:

(أشَهِدُوا خَلْقَهُم ستُكْتَبُ شَهَادَتُهُم ويُسْئَلُون.) ... (سورة الزخرف: الآية ١٩).

حكمه

–وحُكْمُ الوقف الكافي: أنَّه يَحْسُنُ الوقف عليه والابتداء بما بعده.

ملحقاته

–ويلحق بالوقف الكافي (وقف البيان الكافي): وهو الوقف على كلمة لبيان المعنى المقصود.ومثال ذلك الوقوف على كلمة (بمؤمنين) في قوله تعالى:

(...ومَا هُمْ بِمُؤمِنِين.يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذِينَ ءَامَنُوا...) ... ... (سورة البقرة: الآية ٨،٩).

٤– الوقف الحسن:

هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كقوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} لأن الابتداء بـــ {رَبِّ الْعَالَمِينَ} لا يحسن لكونه صفة لما قبله.

٥– الوقف القبيح:

هو الذي ليس بتام ولا حسن و لا يفهم منه المراد: كـــ {الْحَمْدُ} وأقبح منه الوقف على: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا} ، ويبتدئ: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ} لأن المعنى مستحيل بهذا الابتداء ومن تعمده وقصد معناه فقد كفر.

ومثله في الوقف: {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ} {فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ} .

وأقبح من هذا الوقف على المنفي دون حرف الإيجاب، نحو: {لا إِلَهَ} {إلا الله} {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ} {إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً} فإن اضطر لأجل التنفس جاز ثم يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده ولا حرج

كالوقف على " بسم " من قوله: {بِسْمِ اللَّهِ} ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه ولا المنعوت دون نعته ولا الرافع دون مرفوعه وعكسه ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ولا المؤكد دون توكيده ولا المعطوف دون المعطوف عليه

٥-العلماء الذين افردوا الوقف بالتصنيف

أفرده بالتصنيف خلائق منهم أبو جعفر النحاس وابن الأنباري والزجاج والداني والعماني والسجاوندي وغيرهم

٦-مقدار الوقف

روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن مقدار الوقف هو مقدار ما يشرب الشربة من الماء. وقيل: بل مقدار ما يقول: أعوذ بالله من النار ثلاث مرات أو سبع مرات.

٧-مراتب الوقف

ثم الوقف على مراتب أعلاها اللازم ثم التام ثم الحسن ثم الكافي ثم الصالح ثم المفهوم ثم الجائز ثم البيان ثم القبيح

تنبيهات

الأول: **قولهم: لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه ولا كذا قال ابن الجزري: إنما يريدون به الجواز الأدائي وهو الذي يحسن في القراءة ويروق في التلاوة ولا يريدون بذلك أنه حرام ولا مكروه اللهم إلا أن يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنى الذي أراده الله فإنه يكفر فضلا عن أن يأثم.**

الثاني: **قال ابن الجزري أيضا: ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفا أو ابتداء ينبغي أن يتعمد الوقف عليه بل ينبغي تحري المعنى الأتم والوقف الأوجه،وذلك نحو الوقف على: {وَارْحَمْنَا أَنْتَ} والابتداء {مَوْلانَا فَانْصُرْنَا } على معنى النداء.**

ونحو: {ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ} ويبتدئ {بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا} .

ونحو: {يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ} ويبتدئ بالله {إِنَّ الشِّرْكَ} على معنى القسم.

ونحو: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ} ويبتدئ {اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} .

ونحو: {فَلا جُنَاحَ} ويبتدئ {عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} .

فكله تعسف وتمحل وتحريف للكلم عن مواضعه.

الثالث: **يغتفر في طول الفواصل والقصص والجمل المعترضة ونحو ذلك وفي حالة جمع القراءت وقراءة التحقيق والترتيل ما لا يغتفر في غيرها فربما أجيز الوقف والابتداء لبعض ما ذكر ولو كان لغير ذلك لم يبح وهذا الذي سماه السجاوندي المرخص ضرورة ومثله بقوله: {وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} .**

قال ابن الجزري: والأحسن تمثيله بنحو: {قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} وبنحو: {النَّبِيِّينَ} وبنحو: {وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ} وبنحو: {عَاهَدُوا} وبنحو كل من فواصل: {قَدْ أَفْلَحَ} المؤمنون إلى آخر القصة.

٩- من العلوم التي يحتاجها الوقف

قال ابن مجاهد لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات عالم بالتفسير والقصص وتخليص بعضها من بعض عالم باللغة التي نزل بها القرآن. وقال غيره: وكذا علم الفقه ولهذا من لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب يقف عند

قوله: {وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً} . وممن صرح بذلك النكزاوي فقال في كتاب الوقف: لا بد للقارئ من معرفة بعض مذاهب الأئمة المشهورين في الفقه لأن ذلك يعين على معرفة الوقف والابتداء لأن في القرآن مواضع ينبغي الوقف على مذهب بعضهم ويمتنع على مذهب آخرين.

فأما احتياجه إلى علم النحو وتقديراته فإن من جعل: {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} منصوبا على الإغراء وقف على ما قبله أما إذا أعمل فيه ما قبله فلا [يقف].

وأما احتياجه إلى القراءات فلما تقدم من أن الوقف قد يكون تاما على قراءة غير تام على أخرى.

وأما احتياجه إلى التفسير فلأنه إذا وقف على: {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً} كان المعنى إنها محرمة عليهم هذه المدة وإذا وقف على: {عَلَيْهِمْ} كان المعنى إنها محرمة عليهم أبدا وأن التيه أربعين فرجع في هذا إلى التفسير.

وقد تقدم أيضا أن الوقف يكون تاما على تفسير وإعراب غير تام على تفسير وإعراب آخر.

وأما احتياجه إلى المعنى فضرورة لأن معرفة مقاطع الكلام إنما تكون بعد معرفة معناه كقوله: {وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ} فقوله: {إِنَّ الْعِزَّةَ} استئناف لا مقولهم وقوله: {فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآياتِنَا} ويبتدئ: {أَنْتُمَا} وقال الشيخ عز الدين: الأحسن الوقف على {إِلَيْكُمَا}لأن إضافة الغلبة إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليها لأن المراد بالآيات العصا وصفاتها وقد غلبوا بها السحرة ولم تمنع عنهم فرعون.

وكذا الوقف على قوله: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ} ويبتدئ: {وَهَمَّ بِهَا} على أن المعنى: "لولا أن رأى برهان ربه لهم بها " فقدم جواب " لولا "، ويكون همه منتفيا فعلم بذلك أن معرفة المعنى أصل في ذلك كبير.

١٠-شروط من يقوم بتحديد الوقف

١- العلم بالنحو : حتى لا يفصل -بالوقف - بين المبتدأ وخبره أو بين المتضايفين - أى المضاف والمضاف إليه - أو بين المستثنى والمستثنى منه اللهم إلا إذا كان هذا الاستثناء منقطعاً ، فإن العلماء قد اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال:

أ- قال بعضهم: يجوز الفصل مطلقاً ، لأنه فى معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه.

ب- وقيل: هو ممتنع مطلقاً لأن المستثنى فى حاجة إلى المستثنى منه - فى هذه الحالة - من جهة اللفظ والمعنى حيث لم يعهد استعمال إلا الاستثنائية وما فى معناها إلا متصلة بما قبلها لفظاً ، ومعنى كذلك لأن ما قبلها مشعر بتمام الكلام فى المعنى ، إذ قولك: ما فى الدار أحد هو الذى صحح: إلا الحمار. فلو قلت: إلا الحمار وحده لكان خطأ.

ج- وقيل: الأمر يحتاج إلى تفصيل ، فإن صرح بالخبر جاز لاستقلال الجملة واستغنائها عما قبلها ، وإن لم يصرح به - أى الخبر - فلا يجوز لافتقارها. (١)

وبالجملة ، فإن معرفته بعلم النحو تجعله لا يقف على العامل دون المعمول ، ولا على المعمول دون العامل ، ولا على الموصول دون صلته ، ولا على المتبوع دون تابعه ، ولا على الحكاية دون المحكى ، ولا على القسم دون المقسم به ، أو غير ذلك مما لا يتم به المعنى. يضاف إلى ذلك أن الوقف قد يكون تاماً على إعراب غير تام على إعراب آخر ، فظهر بذلك ضرورة العلم بالنحو لمن يقوم بتحديد مواضع الوقف والابتداء.

٢- العلم بالقراءات: لأن الوقف قد يكون تاماً على قراءة ، غير تام على قراءة أخرى.

٣- العلم بالتفسير: لأن الوقف قد يكون تاماً على تفسير معين ، غير تام على تفسير آخر.

٤- العلم بالقصص: حتى لا يقطع قبل تمام قصة.

٥- العلم باللغة: التي نزل عليها القرآن.

هذه الشروط اشترطها ابن مجاهد ، ونقلها عنه السيوطي موجزة. (٢) واشترط غير ابن مجاهد العلم بالفقه كذلك

الوقف والابتداء بحر لا يدرك ساحله

جاء في التقرير العلمي لمصحف المدينة المنورة : وقد صار هذا الشأن علما جليلا صنفت فيه المصنفات وحررت مسائله وغوامضه إلا انه مع ذلك يعد مجالا واسعا لإعمال الفكر والنظر لأنه ينبني على الاجتهاد في فهم معاني الآيات القرآنية واستكشاف مراميها وتجلية غوامضها

تنبيهات خاصة

(يسن الترتيل في قراءة القرآن قال تعالى {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} .

وروى أبو داود وغيره عن أم سلمة أنها نعتت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم: "قراءة مفسرة حرفا حرفا ".

وفي البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى عليه وسلم فقال: "كانت مدا ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم يمد " الله " ويمد " الرحمن " ويمد" الرحيم ".

فى الحديث كان يمد مدا يعنى أنه يمكن الحروف ولا يحذفها وهو الذى يسميه القراء بالتجويد فى القرآن والترتيل أفضل من الإسراع فقراءة حزب مرتل مثلا فى مقدار من الزمان أفضل من قراءة حزبين فى مثله بالإسراع يعنى أنه يمكن الحروف ولا يحذفها وهو الذى يسميه القراء بالتجويد فى القرآن والترتيل أفضل من الإسراع فقراءة حزب مرتل مثلا فى مقدار من الزمان أفضل من قراءة حزبين فى مثله بالإسراع

بَاب مَدِّ الْقِرَاءَةِ من صحيح البخاري

٥٠٤٥ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ الْأَزْدِيُّ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَانَ يَمُدُّ مَدًّا

٥٠٤٦ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ

٥٠٤٧ - حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا أَبُو إِيَاسٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ

٩٩٩ - حدثنا بن أبي داود قال ثنا سعيد بن أبي مريم قال أنا بن لهيعة قال ثنا عبيد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال : صلى بنا أبو بكر رضي الله عنه صلاة الصبح فقرأ بسورة البقرة في الركعتين جميعا فلما انصرف قال له عمر رضي الله عنه كادت الشمس تطلع فقال لو طلعت لم تجدنا غافلين قال أبو جعفر فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد دخل فيها في وقت غير الأسفار ثم مد القراءة فيها حتى خيف عليه طلوع الشمس

شرح معاني الآثار : أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ ت محمد زهري النجار

وقد روي أن عمر هو الذي مد القراءة في الفجر ، وروي عن عثمان أنه تبعه على ذلك

٤٧٥٨ – حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا جرير بن حازم الأزدي حدثنا قتادة قال

: سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي صلى الله عليه و سلم فقال كان يمد مدا

[ش (يمد مدا) يقرأ بتؤدة ويخرج الحروف من مخارجها ويمد ما يستحق المد منها . وقال في [الفتح] المد عند القراءة على ضربين أصلي وهو إشباع الحرف الذي بعده ألف أو واو أو ياء وغير أصلي وهو ما إذا أعقب الحرف الذي هذه صفته همزة وهو متصل ومنفصل]

: الجامع الصحيح المختصر مؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

قَوْله : (بَاب مَدّ الْقِرَاءَة)

الْمَدّ عِنْد الْقِرَاءَة عَلَى ضَرْبَيْنِ : أَصْلِيّ وَهُوَ إِشْبَاع الْحَرْف الَّذِي بَعْده أَلِف أَوْ وَاو أَوْ يَاء ، وَغَيْر أَصْلِيّ وَهُوَ مَا إِذَا أَعْقَبَ الْحَرْف الَّذِي هَذِهِ صِفَته هَمْزَة . وَهُوَ مُتَّصِل وَمُنْفَصِل ، فَالْمُتَّصِل مَا كَانَ مِنْ نَفْس الْكَلِمَة وَالْمُنْفَصِل مَا كَانَ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى ، فَالْأَوَّل يُؤْتَى فِيهِ بِالْأَلِفِ وَالْوَاو وَالْيَاء مُمْكَّنَات مِنْ غَيْر زِيَادَة ، وَالثَّانِي يُزَاد فِي تَمْكِين الْأَلِف وَالْوَاو وَالْيَاء زِيَادَة عَلَى الْمَدّ الَّذِي لَا يُمْكِن النُّطْق بِهَا إِلَّا بِهِ مِنْ غَيْر إِسْرَاف ، وَالْمَذْهَب الْأَعْدَل أَنَّهُ يَمُدّ كُلّ حَرْف مِنْهَا ضِعْفَيْ مَا كَانَ يَمُدّهُ أَوَّلًا وَقَدْ يُزَاد عَلَى ذَلِكَ قَلِيلًا ، وَمَا أَفْرَطَ فَهُوَ غَيْر مَحْمُود ، وَالْمُرَاد مِنْ التَّرْجَمَة الضَّرْب الْأَوَّل . ٤٦٥٧ – قَوْله فِي الرِّوَايَة الْأُولَى كَانَ يَمُدّ مَدًّا بَيَّنَ فِي الرِّوَايَة الثَّانِيَة الْمُرَاد بِقَوْلِهِ

" يَمُدّ "

بِسْمِ اللَّه إِلَخْ يَمُدّ اللَّام الَّتِي قَبْل الْهَاء مِنْ الْجَلَالَة ، وَالْمِيم الَّتِي قَبْل النُّون مِنْ الرَّحْمَن ، وَالْحَاء مِنْ الرَّحِيم .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود أن رجلا قال له: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال: "هذا كهذّ الشعر إن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع ".

وأخرج الآجري في حملة القرآن عن ابن مسعود قال: "لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذا الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكون هم أحدكم آخر السورة ".

مسألة

لا تحتاج قراءة القرآن إلى نية كسائر الأذكار إلا إذا نذرها خارج الصلاة فلا بد من نية النذر أو الفرض ولو عين الزمان فلو تركها لم تجز نقله القمولي في الجواهر.

وأخرج الآجري في حملة القرآن عن ابن مسعود قال: "لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذا الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكون هم أحدكم آخر السورة "

فوائد

١ – الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة نحو شيخ للسيد الكبير وخيش لما غلظ من اللباس ولذا وردت الخشية غالبا في حق الله تعالى نحو: {مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} .

٢ –وأما {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ}

ففيه نكتة لطيفة فإنه في وصف الملائكة ولما ذكر قوتهم وشدة خلقهم عبر عنهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظا شدادا فهم بين يديه تعالى ضعفاء ثم أردفه بالفوقية الدالة على العظمة فجمع بين الأمرين ولما كان ضعف البشر معلوما لم يحتج إلى التنبيه عليه.

٣ – الفرق بين الشح والبخل

الشح هو أشد البخل قال الراغب الشح بخل مع حرص.

٤ – الفرق بين البخل والضن

فرق العسكري بين البخل والضن بأن الضن أصله أن يكون بالعواري والبخل بالهبات ولهذا يقال هو ضنين بعلمه ولا يقال بخيل لأن العلم بالعارية أشبه منه بالهبة لأن الواهب إذا وهب شيئا خرج عن ملكه بخلاف العارية ولهذا قال تعالى: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ} ولم يقل: ببخيل.

٥ – السبيل والطريق

الأول أغلب وقوعا في الخير ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقرونا بوصف أو إضافة تخلصه لذلك كقوله: {يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} وقال الراغب: السبيل الطريق التي فيها سهولة فهو أخص.

٦ – جاء وأتى

الأول يقال في الجواهر والأعيان والثاني في المعاني والأزمان ولهذا ورد " جاء " في قوله: {وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ} {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} وأتى في: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} {أَتَاهَا أَمْرُنَا} .

وأما: {وَجَاءَ رَبُّكَ} أي أمره فإن المراد به أهوال القيامة المشاهدة قلت :وهذا فيه تأويل وكذا: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ} لأن الأجل كالمشاهدة ولهذا عبر عنه بالحضور في قوله: {حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} ولهذا فرق بينهما في قوله: {جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ} لأن الأول والعذاب وهو مشاهد مرئي بخلاف الحق.

وقال الراغب: الإتيان مجيء بسهولة فهو أخص من مطلق المجيء قال: ومنه قيل للسائل المار على وجهه: أتى وأتاوى.

٧ – مد وأمد

قال الراغب: أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب نحو: {وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ} والمد في المكروه نحو: {وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً} .

٨ – سقى وأسقى

الأول لما لا كلفة فيه ولهذا ذكر في شراب الجنة نحو: {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً} والثاني لما فيه كلفة ولهذا ذكر في ماء الدنيا نحو: {لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً} .

وقال الراغب: الإسقاء

أبلغ من السقي لأن الإسقاء أن يجعل له ما يسقي منه ويشرب والسقي أن يعطيه ما يشرب.

٩- عمل وفعل

الأول لما كان من امتداد زمان نحو: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ} {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} لأن خلق الأنعام والثمار والزروع بامتداد والثاني بخلافه نحو: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} {كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ} {كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ} لأنها إهلاكات وقعت من غير بطء {وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} أي في طرفة عين ولهذا عبر بالأول في قوله: {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} حيث كان المقصود المثابرة عليها لا الإتيان بها مرة أو بسرعة وبالثاني في قوله: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ} حيث كان بمعنى سارعوا كما قال: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} وقوله: {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} حيث كان القصد يأتون بها على سرعة من غير توان.

١٠- القعود والجلوس

الأول لما فيه لبث بخلاف الثاني ولهذا يقال: قواعد البيت ولا يقال: جوالسه للزومها ولبثها ويقال: جليس الملك ولا يقال: قعيده لأن مجالس الملوك يستحب فيها التخفيف ولهذا استعمل الأول في قوله: {مَقْعَدِ صِدْقٍ} للإشارة إلى أنه لا زوال له بخلاف {تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ} لأنه يجلس فيه زمانا يسيرا.

١١- التمام والكمال

وقد اجتمعا في قوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} فقيل: الإتمام لإزالة نقصان الأصل والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل ولهذا كان قوله: {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} أحسن من " تامة " فإن التمام من العدد قد علم وإنما نفى احتمال نقص في صفاتها وقيل: تم يشعر بحصول نقص قبله وكمل لا يشعر بذلك.

وقال العسكري: الكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به والتمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف ولهذا يقال: القافية تمام البيت ولا يقال: ماله ويقولون: البيت بكماله أي باجتماعه.

١٢- الإعطاء والإيتاء

قال الخويي: لا يكاد اللغويون يفرقون بينهما وظهر لي بينهما فرق ينبئ عن بلاغة كتاب الله وهو أن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله لأن الإعطاء له مطاوع تقول أعطاني فعطوت ولا يقال في الإيتاء أتاني فأتيت وإنما يقال آتاني فأخذت والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له لأنك تقول قطعته فانقطع فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفا على قبول في المحل لولاه ما ثبت المفعول ولهذا يصح قطعته فما انقطع

ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك فلا يجوز ضربته فانضرب أو فما انضرب ولا قتلته فانقتل ولا فما انقتل لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها فالإيتاء أقوى من الإعطاء. قال وقد تفكرت في مواضع من القرآن فوجدت

ذلك مراعى قال تعالى: {تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ} لأن الملك شيء عظيم لا يعطاه إلا من له قوة وكذا {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ} {آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي} لعظم القرآن وشأنه وقال: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} : لأنه مورود في الموقف مرتحل عنه قريب إلى منازل العز في الجنة فعبر فيه بالإعطاء لأنه يترك عن قرب وينتقل إلى ما هو أعظم منه وكذا: {يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} لما فيه من تكرير الإعطاء والزيادة إلى أن يرضى كل الرضا وهو مفسر أيضا بالشفاعة وهي نظير الكوثر في الانتقال بعد قضاء الحاجة منه وكذا: {أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ} لتكرر حدوث ذلك باعتبار الموجودات {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ} لأنها موقوفة على قبول منا وإنما يعطونها عن كره.

فائدة:

قال الراغب: خص دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء نحو: {وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ} {وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ} قال: وكل موضع ذكر في وصف الكتاب " آتينا " فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه " أوتوا " لأن " أوتوا " قد يقال: إذا أوتي من لم يكن منه قبول " وآتيناهم " يقال فيمن كان منه قبول.

١٣- السنة والعام

قال الراغب: الغالب استعمال السنة في الحول الذي فيه الشدة والجدب ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة والعام)

١٤- مقابلة الجمع بالجمع تارة تقتضي مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا كقوله: {وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ} أي استغشى كل منهم ثوبه.

{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ} أي على كل من المخاطبين أمه.

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ} أي كلا في أولاده.

{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ} أي كل واحدة ترضع ولدها

كتبه

أبوعبد العزيز

تاريخ

١٤٣٠/٥/٢٠هـ